

السياسة اللسانية والتخطيط اللساني : - التأسيس المفاهيم والحالات - (دراسة سوسيولسانية)

د. مجاهد ميمون
جامعة سعيدة كلية الآداب
واللغات .

توطئة:

إن الوعي بظاهرة التعدد اللساني⁽¹⁾ داخل المجتمعات دفع المختصين إلى الاهتمام البالغ بالبحث فيها والبحث في كيفية تسييرها، نظرا لما تكتسيه من أهمية بالغة الخطورة؛ فكان لعلماء السوسيولسانيات الدور الأكبر في تحديد مجال واضح، دوره الأساسي البحث عن آليات لتسيير هذه الظاهرة داخل المجتمعات، سيتجسد فيما سيعرف لاحقا بالتخطيط اللساني. وهذا المجال سيصبح الحقل الخصب الذي تطبق فيه التصورات والآليات العملية للسوسيولسانيات، انطلاقا من دراسة الألسن والبحث في علاقاتها ببعضها البعض، داخل المجتمعات المتعددة الألسن؛ نظرا لحساسية العلاقة بين الألسن في المجتمع الواحد، كونها تستند في أغلب الأحيان إلى محولات ثقافية ترتبط بالدين أو العرق، باختصار تجسد وجود الجماعة اللسانية في حد ذاتها.

إن مسحا شاملا لعالمنا اليوم يبرز مدى حساسية هذه الظاهرة، خاصة وأن أغلب المجتمعات متعددة الألسن⁽²⁾، الأمر الذي يستوجب وضع سياسات لسانية وتخطيط لساني يأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل مجتمع، لأن حساسية اللغة وعلاقتها بالهوية والدين والعرق والانتماء والوجود لكل مجموعة بشرية، يستوجب التخطيط السليم ووضع استراتيجيات⁽³⁾ مدروسة، تساعد على تعايش المجموعات اللسانية داخل المجتمع الواحد.

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى وضع تصورات لكيفية تطوير اللغة الأم وجعلها رسمية ووطنية عندما تزامنها اللغات الأجنبية الدخيلة، وترقية اللهجات الوطنية والعمل على ترقيتها وعدم تهميشها والاستفادة منها وتذليل كل العقبات التي من شأنها أن تقف حجر عثرة أمام تألف وتعايش المجموعات اللغوية داخل المجتمع الواحد بفعل حساسية اللغة. فتسلط لغة على لغات أخرى في المجتمع الواحد أو الاهتمام بترقية لهجة على حساب لهجات أخرى أو تهميش اللغة الأم وتفضيل اللغات الأجنبية عليها، كلها مسائل يمكن أن تكون لها آثار سلبية داخل المجتمعات وما يعيشه حاليا العالم يثبت ذلك.

لذلك كان لزاما اعتماد سياسات لسانية وتخطيط لساني سليم للوصول إلى نتائج ناجعة من شأنها أن تنعكس إيجابا على تماسك المجتمعات خاصة المتعددة الألسنة منها. وأصبح ذلك أكبر هم للباحثين السوسiolسانيين الذين مازالوا لحد الساعة يبحثون عن حلول ناجعة تمكن من تجاوز ما تحدثه هذه الظاهرة من عواقب وخيمة على تألف المجتمعات المعنية بها. ويحاولون قدر المستطاع الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المشروعة التي لها الصلة الوثيقة بمشاكل اللغة وكيفية تسييرها والتخطيط لها.

من هذا المنطلق أصبح التخطيط اللساني مجالا أساسيا من مجالات البحث في الدراسات السوسiolسانية وزاد في الاهتمام بهذا المجال ظهور مشاكل داخل بعض المجتمعات حتى المتقدمة منها في الفترة الأخيرة بسبب عدم رسم استراتيجيات لسانية سليمة. تسببت بعض الأحيان في تقويض وحدة مجتمعات عرفت بوحدتها إلى فترة قريبة والأكيد أن كل الدول صارت تعنى بهذا المجال وحتى المنظمات العالمية الكبرى أصبحت ترصد الأموال الطائلة للبحث في هذا المجال. لذلك "في السنوات

الأخيرة، أصبحت منظمات عالمية تهتم بوضع خطط ومناهج لغوية تخصص لوضعها وتنفيذها اعتمادات مالية تهتم بوضع خطط ومناهج لغوية، تخصص لوضعها وتنفيذها اعتمادات مادية مهمة، وتكلف مجموعات من المتخصصين والباحثين بوضع مشاريع لذلك." (4).

1 - التأسيس :

إن الباحث في مجالات السوسiolسانيات سيصادف مجموعة كبيرة من المصطلحات كلها تشير إلى التخطيط اللساني أو السياسة اللسانية. وكل البحوث السوسiolسانية تجمع على أن أول من لفت الانتباه إلى مصطلح التخطيط اللساني هو العالم إينار هوغن Einar Haugen سنة 1959 حيث استعمل Language Planning لإبراز جهود التوحيد اللساني قي النرويج، يقول أحد المختصين "كثير الحديث عن التخطيط اللساني منذ سنوات، منذ أطلق اللساني الأمريكي إينار هوغن عبارة Language planning في مقال خصص للحالة اللسانية في النرويج" (5) مع نهاية الستينات تلقف هذا المصطلح مجموعة من الباحثين السوسiolسانيين واستعملوه للإشارة إلى كل تدخل يهدف إلى علاج المشاكل ذات الطابع السوسiolساني، وستستعمل لفظة Planification linguistique كترجمة لهذا المصطلح في اللغة الفرنسية .

مع بداية السبعينيات سيعمم استعمال مصطلح جديد يمثل في Aménagement linguistique خاصة عند الفرونكوفونيين الذين تأثروا بأطروحات العالم الكندي جون كلود كورباي J.C. Corbeil وسيصبح أكثر المصطلحات استعمالاً للدلالة على كل ما له علاقة بالتخطيط اللساني. في نفس الفترة "سيستعمل الباحث

J.A.Fishman مصطلح Language policy في كتيب صغير
وسيرجم إلى "Politique linguistique" (6).

بعدها أثري المجال بمصطلحين آخرين، الأول كان من ابتكار المدرسة الفرنسية الصرفة وهو Glottopolitique والآخر Normalisation وكان مستعملا من قبل السوسiolسانيين الكاتالونيين الذين كانوا قد بذلوا جهدا كبيرا حتى تصبح لغتهم معترفا بها في إسبانيا شأنها شأن لغة الكاستيلان اللغة الرسمية الإسبانية.

لم يكن البحث في هذا المجال حكرًا على الغربيين فقط، بل إن الدراسات العربية بدورها قد قدمت إسهامات في هذا المجال. "أما بالنسبة للباحثين العرب الذين اهتموا بدراسة الواقع اللغوي العربي من خلال ما يصطلح عليه بالتخطيط اللغوي فاللائحة طويلة نذكر منهم العروي والأخضر غزال، ومعتصم والزغلول والقاسمي وقاسم السارة والقاسي الفهري..." (7)

وهناك دراسات رائدة لباحثين جزائريين اهتموا بهذا المجال من الدرس، وباللغتين الفرنسية والعربية. و ممن كتبوا باللغة العربية فيها الأستاذ صالح بلعيد (8)، أحمد بن نعمان (9) ومحمد كشود، وغيرهم كثيرون.

2 - المفاهيم:

الملاحظ أنه رغم هذا الزخم من المصطلحات إلا أنه لم يظهر مفهوم جلي وواضح للتخطيط اللساني، ولم تكن هناك نظرية واضحة تؤسس لهذا المجال من الدراسة، بل تباينت المفاهيم حسب المدارس وتبعًا لطبيعة المجتمعات. حتى الآليات والميكانزمات كانت تختلف من مجتمع لآخر تبعًا للحاجة أو الهدف المقصود وراء

عملية التخطيط أو الغاية المرجوة وراء وضع استراتيجية لسانية ترتبط بكل مجتمع على حدة والتفكير في سياسة لسانية والتخطيط لذلك.

إن خصوصيات كل مجتمع واستحالة تشابهها كلياً مع مجتمعات أخرى، فرضت استحالة وجود قواعد قارة يمكن أن تطبق في كل المجتمعات، إذ من غير الممكن أن نخضع قواعد نظرية لتخطيط لساني معين من مجتمع ما ونقلها لتطبيقها في مجتمع آخر، لا شيء إلا لأن المعطيات تختلف من مجتمع لآخر.

إنه وإن استعمل بعض الباحثين مصطلحي السياسة اللسانية والتخطيط اللساني للدلالة على أمر واحد، إلا أن مجموعة أخرى من الباحثين حاولت التفريق بينهما فربطت التفكير والتنظير ووضع الاستراتيجيات بالسياسة الغوية أما التخطيط اللساني فربطته بالتطبيق وآلياته. يقول أحد المختصين في هذا السياق: "سنطلق تسمية السياسة اللغوية على مجموعة من الاختيارات الواعية المتعلقة بالعلاقات بين اللغة/اللغات والحياة الاجتماعية، ونطلق تسمية التخطيط اللغوي على التطبيق الفعلي لسياسة لغوية بعينها، أي الانتقال إلى العمل/التطبيق"⁽¹⁰⁾.

فالسياسة من ههنا تحديد الهدف أما التخطيط فمجموعة الآليات المعتمدة لبلوغ ذلك الهدف "والتخطيط يعني به أن تكون هناك سياسة مبنية على مجموعة من التدابير التي تتخذ من أجل تنفيذ هدف معين، وهذا يعني أن مفهوم الخطة يحددها عنصران: أولهما وجود هدف أو غاية نريد الوصول إليها. وثانيهما وضع تدابير محددة ووسائل مرسومة من أجل بلوغ هذا الهدف."⁽¹¹⁾

إن وضع سياسة لسانية معناه البحث في الخيارات والتوجهات التي يجب أن تعتمد في تسيير وضعية تعدد لساني في مجتمع ما، أو العمل على ترقية لسانه الرسمي

وتحديد الأهداف التي يراد الوصول إليها، وذلك عمل منوط بالدولة ومؤسساتها. فتكون السياسة اللسانية حينها: "البحث في تقديم العلاج لتسيير الظواهر التعددية، ويتعلق الأمر في هذا الميدان بتقديم مجموعة من التصورات لسياسات لسانية، انطلاقاً من مجموعة مواصفات، بالاعتماد على تقييم التجارب السابقة أو المعمول بها؛ واقتراح مجموعة من التوجهات الممكن اعتمادها، للوصول إلى حلول ناجعة تمكن من خلق تجانس وتوافق بين الألسنة المتعددة داخل المجتمع الواحد." (12).

إذا كانت السياسة اللسانية هي التي ترسم التوجه والهدف والغاية نظرياً فإن التخطيط اللساني يجب أن يكون تدخلات على اللغة بوصفها بنية أو نظام لساني، تدخلات على وظيفتها الاجتماعية والثقافية أو تعددها اللساني. يقول أحد المختصين في هذا المجال: "إن التخطيط اللساني هو مجموعة من المحاولات والجهود الواعية والمنظمة لحل مشاكل لسانية، إنها قرارات مأخوذة للتأثير في، أو التشجيع على، أو الابتعاد عن، ممارسات واستعمالات لسانية. إنه مجموع الجهود المعتمدة لتغيير — بطريقة مفتعلة — شكل لسان أو استعماله، تطوير لسان يجسد تفرداً وطنياً، هو إصلاح وتوسيع لسان بصورة معيارية." (13)

إن الأمر المؤكد هو أن طبيعة التخطيط اللساني تتنوع وتختلف حسب خيارات المتكلمين من مجتمع لآخر إذ "يمكن لسياسة ما أن تعطي الطابع الرسمي للسان ما، أو إعادة بعث لسان قليل الاستعمال، كما يمكن للتخطيط اللساني وضع اختياره على تنوع من تنوعات لسان ما." (14)

بعبارة أخرى يسعى التخطيط اللساني إلى حل مشكلات الاتصال اللغوي المرتبط أساساً بظاهرة التنوع اللغوي على مستوى الدولة أو الوطن وذلك بتقديم خطط علمية واضحة ومحددة الأهداف للتصدي للمشكلات اللغوية، واقتراح

الحلول العلمية والعملية لذلك وفق برنامج زمني محدد، وذلك من خلال الدراسات اللغوية ذات الصلة مثل : إحلال اللغة القومية محل اللغات الأجنبية في التعليم وغير ذلك من مشكلات الحياة اللغوية وعادة ما يقوم بها مجلس على مستوى الوطن أو الدولة يطلق عليه مجلس التخطيط اللغوي وهو مجلس مدعم بسلطان الدولة ترعى تنفيذ خطته ومتابعتها ويشترك في هذا المجلس الجامع اللغوية وغيرها من المؤسسات المعنية باللغة مثل الجامعات والمعاهد." (15)

بقي أن نشير أن هذا التخطيط في أي مجتمع إنما يعتمد على محصلة نتائج الدراسات اللغوية العلمية النظرية والتطبيقية المستوحاة من اللسانيات والسوسيوالسانية واللسانيات التطبيقية ليجسد في آخر المطاف في شكل برامج وخطط قابلة للتنفيذ .

كخلاصة للمفهوم يمكن القول إن التخطيط اللساني هو جهد صريح ومنهجي لمعالجة مشاكل لسانية وفق حلول مقترحة تجسد فعلياً بمساعدة الهيئات الرسمية داخل مجتمع ما وهذا الجهد يجب أن يوجب على مجموعة من الانشغالات المختلفة، والأکید أن الاعتبارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي التي تؤخذ بعين الاعتبار، أكثر من الاعتبار اللسانية عندما يتعلق الأمر بالتخطيط اللساني؛ لأن غاياته في أغلب الأحيان هي ذات طابع سياسي واقتصادي أو اجتماعي وما اللسان سوى وسيلة لبلوغ هذه الغايات.

نستنتج إذن أن التعاريف المختلفة للتخطيط اللساني تربطه بمجموعة من المشاريع و البرامج اللسانية الواجب تجسيدها على أرض الواقع والتي يستحيل تطبيقها خارج إطار الدولة التي تمتلك القرار والإمكانات. معنى ذلك أنه "لكي لا تتوقف أي سياسة لسانية — شأنها شأن أي سياسة: اقتصادية أو تربوية أو صحية — عند مستوى التصريحات فقط ، وتتعدى ذلك إلى التجسيد؛ يجب أن تضع مجموعة من الآليات والاحتياطات. بذلك نمر إلى مستوى آخر، مستوى التدخل

الفعلي حينها فقط يمكن أن نتحدث عن التخطيط اللساني".⁽¹⁶⁾ وعليه نقول إن السياسة اللسانية، والتخطيط اللساني لن يتعدى التنظير ما لم يتم تجسيدهما على أرض الواقع، وبصورة تعكس تنظيما صارما، على مستوى الأدوات والتطبيق.

3 - الحالات:

لقد حظيت السياسات اللسانية والتخطيط اللساني بأهمية كبرى على المستويات المختلفة، جهوية كانت أو وطنية أو إقليمية أو دولية، وصارت تجسد أكثر من مضمي، إما استقلالا أو هيمنة أو تآلفا أو ارتباطا بهوية. وصار من المستحيل أن نغفل أو نتغافل الوضع اللساني في أي مجتمع كان، لما لهذا الوضع من انعكاس أكيد على صيرورة وكيان هذا المجتمع.

والمتتبع لما يعيشه العالم يمكن أن يرصد مجموعة من الحالات لهذه السياسة اللسانية، قلما تشابه في آلياتها لأن غاياتها تختلف من مجتمع لآخر، لكن المؤكد هو أن تسيير اللسان هو الأساس لأنه هو دعامتها. "إنه سواء أعلق الأمر بالسياسة اللسانية أم التخطيط اللساني فإن الأمر سيكون دائما مرتبطا بتسيير لغة أو مجموعة من اللغات، إما في شكلها أو استعمالها".⁽¹⁷⁾

ومن الحالات التي يمكن أن نرصدها في هذا المجال:

1 — استبدال لغة المستعمر باللغة الوطنية وجعلها اللغة الرسمية للدولة، وهذه الحالة تجسدت في أغلب البلدان التي عانت استعمارا، والجزائر⁽¹⁸⁾ شأنها شأن أغلب الدول العربية المستعمرة عملت على ترسيم اللغة العربية وجعلها عنوان هويتها واستقلالها.

2 — العمل على خلق توازن وتوافق بين ألسنة مجتمع واحد حين تعدد الألسنة فيه ومراعاة عدم تهميش أي لسان منها لأنه تجسيد لثقافة وهوية وعرق، وتفادي ما من شأنه إحداث تصدع داخل مجتمع متعدد يكون اللسان أحد أسبابه ومن أمثلة ذلك، الحالة اللسانية في سويسرا وبلجيكا واللوكسمبورغ وحتى كندا، لو أن التجارب فيها تختلف.

3 — اختيار السياسة اللسانية المناسبة حين يكون عدد الألسنة داخل المجتمع الواحد كبيرا يستحيل معه اختيار جميع الألسنة لأن تكون الرسمية لذلك المجتمع، والبحث عن عامل التوافق إما باتفاق الجميع على اختيار لسان من بين ألسنة ذلك المجتمع أو اختيار لغة عالمية تحقق قدرا أدنى من التوافق والأمثلة كثيرة في هذا المجال خاصة في دول إفريقيا⁽¹⁹⁾ وأمريكا الجنوبية وآسيا⁽²⁰⁾.

4 — اختيار لغة لها خلفية دينية يجتمع حولها أفراد من مجتمعات مختلفة وبألسنة مختلفة لتصبح رمزا لوجودهم وهويتهم وكيانهم والدولة العبرية الصهيونية⁽²¹⁾ مثال واضح لذلك.

5 — العمل على ترقية بعض اللغات الجهوية إلى مستوى اللغات الوطنية مثل ما حدث مع اللغة الأمازيغية⁽²²⁾ في الجزائر.

6 — اختيار لغة إقليمية لتصبح لغة رسمية لمجموعة من الدول ونموذج لغة السواحلي⁽²³⁾ مثال حي لذلك، كونها صارت لغة رسمية لمجموعة كبيرة من الدول الإفريقية منها تانزانيا وكينيا وأوغندا وسوازيلاندا .

إن الاهتمام بوضع السياسات اللسانية والتخطيط لها، كان دوما عملا استراتيجيا، دأبت عليه القوى العظمى في هذا العالم وانطلاقا منها تجسدت موازين

القوة، فاستطاعت أن تتحكم في النظام العالمي على كافة المستويات، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والأمثلة الحية مجسدة في نطاق تأثير الإنجليزية والفرنسية والإسبانية خاصة... لذلك من الواجب على الدول السائرة في طريق النمو أن تعتمد سياسات لسانية ناجعة، تجسد هويتها واستقلالها و تكفل لها وجودها، وانسجامها من جهة وتسمح لها بالافتح على العالم ومسايرته من جهة أخرى.

1- « le monde est plurilingue , c'est un fait .et l'histoire linguistique, qui est l'un des aspects de l'histoire du monde, est en grande partie constituée par la gestion du plurilinguisme »

القول لأحد أكبر المختصين في التخطيط اللغوي و السياسات اللغوية ، الفرنسي لويس جان كالفي .

Voir : Louis Jean Calvet- la guerre des langues -Hachette littératures-199.p43

Voir dans la même page : -2

« Contrairement a ce que certain peuvent penser, cette multiplicité des langues ne définit pas des situations ou des continents particuliers, elle n'est pas spécialement l'apanage du tiers monde, des pays en voie de développement.. »

3- على غرار ماهر معمول به في بعض الدول المتقدمة مثل كندا ، سويسرا ، بلجيكا. اللوكسمبورغ.

هذه دول رائدة في السياسات اللغوية والتخطيط اللساني. استطاعت أن تقي نفسها بفضل وضعها سياسات لسانية محكمة من الانشطار ، بالعكس تعايش ألسنتها ساهم في ترسيخ تعايش بين مجموعاتها ، فانعكس ذلك إيجابا على حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ينظر :

-Louis Jean Calvet- la guerre des langues-pp 153- 159-184

Henri Boyer-introduction a la sociolinguistique-pp83-84 -

4- المصطفى بن عبد الله بوشوك — تعليم وتعلم اللغة لعربية وثقافتها — مطبعة النجاح الجديدة ط3 2000 ص98

5- Louis Jean Calvet- la guerre des langues -p153

6- Louis Jean Calvet- la guerre des langues -Hachette litteratures-1999,p158

7- — أمنة إبراهيمي وضع اللغة العربية بالمغرب وصف ورصد وتخطيط مطبعة الأمنية الرباط ط1 2007ص56

8- مجلة اللغة الأم التي يشرف عليها ، مع مجموعة من الباحثين الشباب من جامعة تيزي وزو إسهام مهم في هذا المجال من الدرس

9- كتاباته عن التعريب في الجزائر ، وإسهاماته في مجلة اللغة العربية في هذا المجال مهمة جدا

10

- لوي جان كالفني - علم الاجتماع اللغوي - ترجمة محمد يحياتن - دار القصة للنشر 2006 ط1 ص111
- 11- صالح بلعيد - دروس في اللسانيات التطبيقية - مجلة اللغة الأم - دار هومة 2000 ص12
- 12- Henri Boyer - introduction a la sociolinguistique, p18
- 13- Jean Garmadi-la sociolinguistique- puf,1981,p187
- 14- Louis Jean Calvet- la guerre des langues -Hachette litteratures,1999,p158
- 15- حلمي خليل - دراسات في اللسانيات التطبيقية - دار المعرفة الجامعية 2000 ص 80
- 16- Henri Boyer - introduction a la sociolinguistique, p77
- 17- Ibid. P.78
- 18- انطلاقا مما تجسد في الدستور من جهة وما أقرته بعض القوانين والأمريات والتعليمات - الباب الأول، الفصل الأول، المادة الثالثة من الدستور الجزائري: "اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية
- الأمر رقم 68 - 92 المؤرخ في 28 محرم عام 1388 الموافق 26 أبريل سنة 1968. والمتضمن إجبارية معرفة اللغة الوطنية على الموظفين ومن يماثلهم.
- الأمر 70 - 20 المؤرخ في 13 من ذي الحجة عام 1389 الموافق 19 فبراير سنة 1970. والمتضمن وجوب استعمال اللغة العربية في تحرير جميع وثائق الحالة المدنية.
- القانون رقم 86-10 المؤرخ في 28 ذي القعدة عام 1408 الموافق 12 يناير سنة 1988 و المتضمن إنشاء المجمع الجزائري للغة العربية
- القانون رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 يتضمن تعميم استعمال اللغة العربية.
- 19- أغلبية دول إفريقيا السوداء تعيش هذه الحالة : السنغال ، الكونغو ، النيجر ، بوركينا فاسو وغيرها .للتوسع ينظر :
- Louis Jean Calvet- la guerre des langues -p95.p125-
- لويس جان كالفنيه - إيكولوجيا اللغات - ص 160
- 20- على غرار ما يحدث في بعض الدول المستعمرة سابقا من قبل إسبانيا أو البرتغال مثل البرازيل والمكسيك ، التي رغم تواجد عدد كبير من اللغات إلا أن اللغات الرسمية فيها دائما هي لغات المستعمر حفاظا على تجانسها
- 21- voir : Louis Jean Calvet- la guerre des langues. p133

« l'hébreu est devenu la langue nationale de l'état d'Israël , servant de véhicule aux émigrées venus de différentes parties du monde .»

22- — على غرار ما تقوم به الجهات الرسمية : — بمقتضى تعديل الدستور بقانون 02-03 الممضي في 10 أبريل 2002 . في الباب الأول الفصل الأول ، المادة الثالثة مكرر من الدستور الجزائري : تمازيغت هي كذلك لغة وطنية تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها السانية المستعملة عبر التراب الوطني

23- voir : Louis Jean Calvet – les langues vehiculaires- « que sais-je » puf.1981p78

Et . : Louis Jean Calvet- la guerre des langues p135.

« ..le hawsa parlé au Niger et au Nigeria, le swahili parlé en Tanzanie, au Kenya, au Burundi, au zaïre, etc., sont au sens propre du terme des langues internationales. »